التّرجمة وسيط لمعرفة الآخر وقراءته في الصورائيّة المقارنة

La traduction est un moyen de connaître l'autre et de le lire dans une gestation pour autrui comparée

أ. سيّ الطيب ميلود*

ملخّص: تشهد الجوانب المختلفة في العالم تقاربا بفضل الانفتاح الذّي انفجر في الآونة الأخيرة، وجعل التّواصل سهلا بفعل عديد الأسباب أهمها التّبادل الثّقافي بين القوميات، هذا الأخير حافظ عليه الأدب المقارن وجعله أساسا تُبنى عليه الدّراسات التّابعة له بعده، وهو ما نجده مع التّأثّر والتّأثير، الصورائيّة، الموضوعاتيّة التّرجمة.

وقد كانت هذه الأخيرة وسيطا لمعرفة الآخر من خلال المحاولات الأولى التّي قامت بها التّرجمة في هذا الإطار خاصة مع مجال الصورلوجيا الذّي كان طابعه في قراءة الشّعوب وتصويرها عبر الآداب، فوجدت التّرجمة كأداة مناسبة لمعرفة واستجلاء الصّور، فهل تجسّد نقل الثّقافات عبر قناة التّرجمة في الأدب المقارن ؟ وكيف حقّقت التّرجمة وجود الصورة بين الأنا والآخر في علم الصورة الأدبيّة ؟

سنحاول البحث في نتائج هذه الأسئلة بفعل تتبع بعض الدّراسات في الأدب المقارن و الصورائيّة ،والتّي اعتمدت التّرجمة أساسا لها .

كلمات مفتاحيّة : التّرجمة، الثّقافات، الأدب المقارن، الصورائيّة

Résumé : Les différents aspects du monde connaissent une convergence grâce à l'ouverture qui a explosé récemment, et a rendu la communication facile pour de nombreuses raisons, dont la plus importante est l'échange culturel entre nationalités, cette dernière préservée par la littérature comparée et en faisant une base sur laquelle reposent les études qui s'y rapportent, que l'on retrouve avec influence et influence, la sismique, Objectivité, traduction ...

Sitayebmiloud7@gmail.comCe dernier a été un médiateur pour connaître l'autre à travers les premières tentatives de traduction dans ce contexte, en particulier avec le cha†mp de l'image, qui était caractéristique de la lecture des peuples et de leur représentation à travers la littérature. J'ai trouvé la traduction comme un outil

*جامعة عبد الحميد بن باديس ـ مستغانم، البريد الإلكتروني: Sitayebmiloud7@gmail.com (المؤلف المرسل)

†

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

approprié pour connaître et clarifier les images. La transmission des cultures par le canal de la traduction incarné dans la littérature Comparatif? Et comment la traduction a-t-elle atteint l'existence de l'image entre l'ego et l'autre dans la science de l'imagerie littéraire?

Nous essaierons de rechercher les résultats de ces questions en suivant quelques .études

en littérature comparée et visuelle, pour lesquelles la traduction est basée.

Les mots clés : Traduction, cultures, littérature comparée, Semi-circulaire

مقدمة: لعب الأدب المقارَن منذ بدايته نقطة التّقاء الثّقافات وانفتاح الأمم، ولعلّ المفاهيم التّي ارتبط بها أساسا كانت لضبط التّواصل وتسالك اللّغات والمضامين، ومن ذلك انبثقت مع مرور الزّمن بعضٌ من التّخصّصات والمناهج كالصورائيّة، الظاهراتيّة، التّأثّر والتّأثير والترّجمة والاستشراق .. وقد سار بعضها جنبا إلى جنب رفقته وانفرد البعض الآخر.

عملت التّرجمة على تبنِّيّ دورها كرابط مباشر في إطار الأدب المقارن من النّاحيتين النّظريّة والتّطبيقيّة وسنحاول أن نطرح فكرة التّرجمة في تعميقها للوسائط التّواصليّة التّي كان فيها الأنا والآخر في صدام ثقافي بيْنيّ ،خاصة في مجال قراءة أحدهما للآخر من باب الصورة الأدبية، وهذا بغيّة الإجابة على مدى تحقيق التّرجمة لنقل الثّقافات بين الهنا والهناك واستجلائها لمختلف الصوّر التّي انبثقت عبر النّصوص الأدبيّة والفنون، وقد تمّ اختيار مجموعة من الأعمال التّي اتّخذت من التّرجمة وسيطا معرفيا وفكريا وثقافيا بحتا في الأدب المقارَن وميدان علم الصورة الأدبية.

1ـ التّرجمة في الأدب المقارَن: إنّ الحديث عن التّرجمة ودورها في الأدب المقارن حلقة فريدة في إطار إرساء المفاهيم العامة وتثبيث القيم التّي جاء لأجلها الأدب المقارَن حين ذهب إلى بسط الرّؤيّة بين الآداب القوميّة في تأثُّراتها المختلفة مع بعضها ،فظهرت التّرجمة تماشيا وظهور هذه الاتّصالات،وما يشغلنا هو ما حدث في البلدان العربيّة من محاولات كان أهمّها مقدّمة "سليمان البستانيّ " في ترجمته لإلياذة هوميروس((وكان من

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الطبيعيّ أن يتعرّض البستانيّ لكثير من القضايا المتّصلة بالأدب المقارن في هذه المقدّمة ..غير أنّ البستانيّ لم ينظر إلى هذه الموضوعات نظرة"مقارِنة". أيّ الوقوف في بحثها عند قضيّة التّأثّر والتّأثير "بل نظر فيها نظرة "مقابِلة" ترصد الظواهر المتشابهة ـ أو المتخالفة بين الأدبين العربيّ واليونانيّ بخاصة اللذَيْن تدور حولها ،وفيهما المقارنة أو في الحقيقة المقابلة))[1]

كان هذا في بدايّة وجود الأدب المقارن في الوطن العبيّ ،أمّا فيما بعد فقد تطوّرت حياة التّرجمة في ربطها للثقافات المختلفة عبر الأدب المقارَن ،وأصبحث تُقام المقارنات المختلفة بفضل ترجمة الكثير من أعمال الغرب كما فعل ذلك "محمّد غنيميّ هلال"في دراسته للمؤثّرات الغربيّة في الرّوايّة العربيّة ((وقد مهّدت التّرجمة لهذا التّأثير ،فقد جمع الأستاذ "يوسف داغر"،في مجلّد نشر في بيروت ،إحصاءً للقصص التّي ترجمت في القرن التّاسع عشر ،وفي أوائل هذا القرن ،فكان عددها نحو عشرة آلاف قصّة ،وإذا كانت التّرجمة لا تعدّ في ذاتها تأثيرا ،بمعنى التّأثير المفهوم في الدّراسات المقارنة ،فإنّها سبيل قويّ من سبل هذا التّأثير))[2]

وإنّه لمهم بالنّسبة لدور التّرجمة كمنهج قائم بذاته في الرّبط بين الآداب المختلفة ،وليس كتابع مهمّش للأدب المقارن في هذا الإطار،فقد يدفع بالعمل المترجَم إلى إضافة ما يمكن في سبيل الكشف عن فن من الفنون الأدبيّة في مجال العلوم الإنسانيّة وغيرها ،كما يتأتّى للمقارِن أن يصل إلى مختلف النّقاط التّي كوّنت تلك الأعمال الواردة من تأثّرات أصحابها بآداب قوميّة آخرى كما حدث ذلك مع السّرديات بصفة عامة.

وهذا التّأثير المتبادل الذّي تبناه الأدب المقارَن ،أسهمت فيه التّرجمة بإسهاب بعد أن ظهر في المقابل وجود تأثيرات لأعمال عربيّة في الثّقافة الغربيّة بفعل ترجمة تلك الأعمال التّي كانت طليعة في التّاريخ الأدبيّ للعرب كما حدث مع قصّة مجنون ليلى ،وكذلك تأثير المصادر العربيّة للكوميديا الإلاهيّة ،هذين العملين اللذين اتّخذ منهما الدّارس في مجال الدّرس المقارن مجالا واساعا لعديد المحاولات ،ولا شك أنّ هذا الدّارس كان على درايّة بالتّرجمة والبحث في تفاصيلها بغيّة إتقان فعل المقارنة بحذافيره ،أمّا العمل الأوّل فإنّ التّصوّر الذّي طغى على شخصيّة ليلى والمجنون بين الأدبين العربيّ والفارسيّ مثلا تغيّر عبر التّرجمة ((ولا شكّ أنّ قيسا قد غيّر لغته

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ووطنه حين انتقل إلى الأدب الفارسيّ ،فلا غرابة في أن تتغيّر آراؤه وبعض معالم شخصيته ،فهو عند شعراء الفرس جميعا صوفي فيلسوف ،ممثّل لأعظم وأخطر القضايا الفلسفيّة الرّوحية))[3]

لا شكّ أنّ هذا التّصوّر يكتب له التّجديد بفعل تغيُّر البيئة الأدبيّة التّي وجدت فيها هذه القصّة،وهو ما أضاف الكثير على وجودها في الأدب العربيّ على إثر اختلاف القراءات عبر تلك التّرجمة .

أمّا العمل الثّانيّ فإنّ جلّ الدّراسات تجمع على أنّ "دانتيّ أليغريّ " صاحب الكوميديا الإلاهيّة قد تأثّر بالمصادر العربيّة لرسالتّه ،هذا الاحتكاك كانت التّرجمة سيدا فيه بعد أن ربطت الغرب بعالم الخيال والرّحلة إلى الآخرة بفعل ترجمة بعض النّصوص التّي تحدّثت عن إسراء ومعراج النّبيّ صلى الله عليه وسلم ،وكذا رسالة الغفران لأبيّ العلاء ،أما هذا الأخير فإنّه سهل التّنقّل عبر الاحتكاك القريب الذّي حدث بين العرب وغيرهم من الأمم بعد ظهور هذه الرّسالة ،يبقى لقصّة الإسراء والمعراج التّي لم يستوعبها الغرب بقوّة ولكنّهم نقلوها إلى لغاتهم((نشر الباحث الإيطاليّ شيروليّ E.Cerulli،والباحث الإسبانيّ مونوز سندينو Munoz Sendino،ودون أن يعلم أحدهما بعمل الآخر ،النّسخة الفرنسيّة واللاتينيّة لكتاب أسبانيّ عربيّ يشتمل على قصّة معراج النّبيّ محمد صلى الله عليه وسلم ومروره بجهنّم ،وصعوده إلى السماوات ،وعنوان الكتاب في الإسبانيّة Libro della Scala وفي النّسخة اللاتينيّة واللغة الفرنسيّة القديمة عنوانه Liber Scalae and Livre de l’eschiele Mohaet))[4]

هذا الامتزاج الذّي حدث في دائرة الاتّصال بين الشّعوب ،جعل في المقابل حدوث اتّصال لا يمكن أن نفصل طرفيه ،ذلك الذّي حدث بين التّرجمة والأدب المقارن والذّي أبان عن الدّور الذّي قامت به قراءة الآخر عبر اللغات المختلفة أحد الرّموز التّي نشير من خلالها إلى وجود مجال لتوسيع رقعة التّرجمة والأدب المقارن في آن واحد .

وبخصوص الأمثلة التّي سِيقت في هذا المقام فما هيّ إلاّ مجرّد تلميح للعديد منها والذّي صاحب تلك الانبثاقات التّي عمد من خلالها المترجمون ودارسوا الأدب إلى تبيين الحقيقة التّي كانت فيها الثّقافات في انغلاق تام قبل

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وجود التّرجمة التّي وجدت في الأدب المقارن الأرضيّة المناسبة لبعث بذور التّواصل،وسنترك الجانب التّطبيقيّ لهذا البحث مجالا للمحاولات التّي كان الجزائريون أبطالا لها .

2ـ التّرجمة وعلم الصورة الأدبيّة: التّرجمة أو ما يسمّى بقراءة الآخر فقد كانت من الأدوات المهمّة التّي أوجدت الصورلوجيا، ووضعت جسرا امتدّ فيه اللّقاء وظهرت من خلاله قراءة الآخر دون أن يكون اللّقاء مباشرا على غرار الرّحلة التّي ارتبطت هيّ الأخرى بآفاق التّرجمة، فقد عمد الرّحالة عند إعجابهم إلى محاولة ترجمة آثار " الآخر" .

وقد كان لمواكبة هذه القراءات بابا واسعا في تلخيص صور مختلفة منها ما وجد في تباعد الجغرافيات، وآخر في اختلاف اللّغات وآخر لتباين الأجناس والقوميات ،ولعلّها تدخل في سياق اقتراب الأمم من بعضها تحت رايّة التّرجمة والتّصوير فقد عدّت ((وسيطا جيّدا في تشكيل الصّور، بالنّظر إلى الدّور المهمّ الذّي تلعبه في سبيل نهضة الأمم،وتحقيق التّقارب بين الشّعوب،بعد أن تفسح لها المجال للاحتكاك والتّعارف،والتّحاور ،والتّفاعل))[5]

وكانت اللّغة هيّ المؤشّر الذّي يحرّك من ذاكرة الآخر كلّ ما كتب عنه، فلقد تهاوت تلك القوى التّي سيطرت في فترات من الوجود الأدبيّ بين الأمم وجعلت التّقارب أساس العلاقات والكتابات، فلمّا يهِمّ المقارِن بمعرفة"الآخر" هناك، يضلّ يبحث عن المكوِّن الذّي يعتمده هذا الأخير، وفي هذا ما يجعله يبثّ عنه تلك الصّور المختلفة ويثبتها دون أن يكون الحوار مباشرا بينهما، وبذلك فإنّ ((التّرجمة من لغة إلى أخرى لعبت دورا حيويا في تكوين صورة شعب لدى آخر، وكانت أساسا فاعلا في تكوين الأدب المقارن عند العرب وعند غيرهم من الشّعوب العربيّة التّي أسّست لهذا العلم))[6]

وقد كانت ترجمة الآخر في إطار التّلاقح المعرفي بين الشّعوب واسعا سواء مع بدايّة هذا المجال أو بعد وجوده وتطوّره، فقد قرأ الأوربيون العرب من خلال ترجمتهم لألف ليلة وليلة، فعرفوا عاداتهم ومعتقدهم ولغاتهم واستفادوا من ذلك ،وترجم العرب عن هؤلاء ما مكّنهم من إعجاب كما في " تخليص الإبريز في تلخيص أخبار باريس " للطهطاويّ، وعرف الأوروبيون بعضهم وانفتحوا على ثقافاتهم فترجمت أعمال "شكسبير" والمجتمع الإنجليزيّ

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

،كما نقل عن الألمان " غوته " وما مثّله في ثقافاته عن مجتمعه سواء ما تعلّق بالتّرجمة من لغة أخرى أو حتى الكتابة، فقد ألّف بالدّنسبرجر " غوته في فرنسا ".

ومن التّرجمات التّي أسّست لهكذا انتقالات للصّور المباشرة، وإرساء مجال الصورولوجيا في الأدب المقارن " ترجمة ألف ليلة وليلة " الذّي كان بمثابة الوصل الذّي كشف عن موسوعة لمجالات مختلفة خصّت العالم من وجهة غير معروفة في " الهناك " ((حيث أخذت ترجمة هذا النّص الذّي عدّ من عيون الأدب الشّعبيّ فيما بعد، أخذت صدى أدبيا تجاوزت شهرته الآفاق ،فانبهر به الكتّاب الأوروبيون : فولتير ومونتيسكيو وكربيون الإبن وديدرو، وغيرهم من رواد الأدب الفرنسيّ الذّين قلّدوا أسلوب اللّياليّ))[7]

هذا التّقليد لم يكن في الكتابة فقط، إنّما امتدّ لما يصوّره الكتاب من حياة وترجمتها في الواقع كما فعل " غوته " حين راح يقلّد بعض شخصيات هذه القصص، وهو نفسه في إطار قراءة " الآخر " مكانا وشخصّا، مجتمعا وتقليدا، فنجد " رافع رفاعة الطّهطاويّ " قد قرأ من خلال النّهضة والانفتاح "الفرنسي" الأمر الذّي انعكس في مؤلّفه " تلخيص الإبريز في تخليص أخبار باريس " ورغم أنّ المصنّف كان ضمن كتب الرّحلة إلّا أنّه يتضمّن جزءا من قراءة الفرنسيّ، وهو ما لمحنا له من خلال التّداخل بين هذه الوسائط في تكوين الصورة الأدبيّة عن الآخر، ويدخل في هذا ما تحدّثه "الطّهطاويّ " عن لغة الباريسيين وفنونهم ((اعلم أنّ البارزيين يختصون من بين كثير من النّصارى بذكاء العقل، ودقّة الفهم وغوص ذهنهم في الغويصات))[8]

والملاحظ من خلال القراءة وضعها في إطار المقارنة، وهو ملفت لأنّ الرّحالة كان واحدا من الرّوّاد في هذا المجال.

وفي سياق آخر ما نجده في قراءتنا للمترجم في هذه الحالة فهو مقارِن من خلالها يعمل على تقصّيّ أحوال العالم ممّا يصنعه من مؤثّرات مختلفة لما رآه أو سمعه، كما أطلّ " جيته"على الشّرق في إعجاب وهروب، أمّا الأوّل فهو الحضارة التّي شاع بريقها في أرجاء المكان هناك، وأمّا الثّانيّ فهو الوضع الذّي آل إليه المجتمع الغربيّ حين أغلق كل الأفق عن الإنسان والإنسانيّة وكان هذا في كتابه " الدّيوان الشّرقيّ للمؤلّف الغربيّ " وهو قراءة للآخر في أبهى حلله، فقد حصل إعجاب الكاتب بالشّرق حتى قبل أن يراه ويذهب بين أحضانه، ولعلّ ما

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كان يصنع اللّقاء في ظلّ الصورلوجيا " الإعجاب " و"اليأس" وهو ما اجتمع في كثير من الاتّصالات، فقد كان " جيته" مطلّا على حضارة بأكملها كوّن في آثاره صورا لذلك الانبهار، تلك الصّور التّي كانت مفقودة في المكان "هناك"((وأعادت صورة هؤلاء الجنود المسلمين النّازحين في خيال "جيته" صورة تيمورلنك بجنوده الأقوياء، وبدأ يحيا في نفسه حياة الشّرق))[9] ولئن كان التّأثير من المميّزات التّي جمعت هذا الأديب بالشّرق بعد قراءته لبعض من أشعاره، إلا أنّ ميزة التّصوير قد غلبت هيّ الأخرى ذهنه وجعلته يرسم عن " الآخر" بعضا من تفاصيله وهيّ نقطة من النّقاط التّي ربطت الشّعوب وبدأت معها البدايات، استمرّت فيما بعد إلى تبادلات متراميّة الأطراف متداخلة الأفكار، فقد تأثّرت أوروبا كلّها بما فعله " جوته " في هذا وراح الصدام الحضاريّ يزيد مع الشّرق، إذ " الهوس" وهو أحد مكوّنات علم الصورة الأدبيّة لم يكن من طرف واحد، إذ لا يخصّ انبهار الشّرق بالغرب فقط، إنّما انبهار متبادل .

وفي ذات الإطار ترجم "فيكتور هوجو" بعضا من صور الشّرق في ديوان " الشّرقيات" الذّي كان هو الآخر تشكيل لميدان الصورة الأدبيّة من باب قراءة الآخر، فضلا عن أنه أبدى ارتباطا مباشرا بالموجود في "الهنا " محطّما تلك التّقاليد التّي حافظ عليها الغرب في حيّز نرجسيّ خالص ،وعلى وتيرة الإعجاب نفسه كوّن الغرب عن العرب في كلّ مكان علاقة في إطار الرّؤيّة الثّقافيّة للإنسان والمكان ومن بينه ما وجد مع "فيكتور هوجو"((ولقد تمكّنت صورة الأندلس من نفوس الشّعراء وأصبحت مصدر إلهام لهم، وعلى وجه التّحديد الشّعراء الفرنسيين الرّومانسيين نخصّ بالذّكر الشّاعر فيكتور هوجو victor hugo))[10]

فكان هذا من معالم التّشكّل التّي استولت مضامين علم الصورة وجعلته يزداد تطوّرا ويكتمل في إطار هذه البدايات التّي كانت صعبة الولادة مع هذا الاعتزال الذّي شهده العالم، سواء خلال الضّعف كالشّرق وما كانوا يعيشونه في ما بعد العصر الذّهبيّ، أو الغرب وما أحدثه الصّراع بينهم من شقاق وخراب،فالقطيعة الثّقافيّة كانت سببا وجيها لمحاولة طرح هذه التّرجمات من جديد للعلاقات المتراميّة في بعث الحوار البين ثقافي بين المجموعات البشريّة في أطرها الضّيّقة أو الواسعة .

3 ـ التّرجمة والآخر :

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

3ـ 1. دراسة صورة الآخر في أدب الأنا: نركّز في هذا الإطار على دراسة صورة الآخر ممثّلا في "الغرب" في أدب الأنا الجزائريّ ،ولاشكّ أنّ هذا النّوع من الدّراسات قد شهد نقصا في مادته التّطبيقيّة نظرا لطبيعة الرّؤيّة والقطيعة التّي كانت موجودة في ذاكرة الأنا العربيّ بصفة عامة لأسباب عديدة أهمها الاستعمار ،هذا الأخير الذّي كان سببا في حدّ ذاته لوجود اتّصال بين العرب والغرب وكذا لتصوير الآخر الغربيّ من طرف الأنا العربيّ ((قليلة هيّ الدّراسات التّي أولت عنايتها إلى دراسة صورة "الآخر"في أدبنا العربيّ "الأنا" على الرّغم ممّا لهذا التّوجّه من أهميّة كبرى في جلاء صورة الشّعوب، وخدمة الأدب القوميّ لاتقل عن أهميّة دراسة صورة "الأنا" في أدب "الآخر"،لأنّ معرفة "الآخر" هو في الوقت نفسه جلاء لصورة "الأنا"))[11]

فبعد أن بسط العرب بقاءهم بين هؤلاء مالوا لأحد الوسائط التّي تجعلهم يكتشفون الآخر بشكل واضح وحقيقيّ ،وهو ما يظهر في كتاباتهم التّي كانت بلغة الآخر ،فالتّرجمة في هذا المسار كانت تعبيرا ملفتا عن مجموعة من التّصوّرات التّي رآها أو قرأها الأنا الأديب بطبيعة الحال ،وكان في طليعة هذا في أدبنا الجزائريّ "صورة الفرنسيّ في الرّوايّة المغاربيّة "لعبد المجيد حنون ،الذّي استطاع أن يخرج الكثير من الصّور التّي دارت في مخيلة "الأنا" العربيّ من خلال مدونة خصّ بها منطقة المغرب العربيّ ،وقد أخذ بعضا من تلك الصّور من خلال بعض الرّوايات المترجمة ،ولعلّ في هذا ما يضيف إلى طبيعة استخدام التّرجمة أو الأعمال المترجمة كأداة مباشرة للوصول إلى تجلّيّ الصّور المباشرة وغير المباشرة في معرفة الآخر معرفة حقيقية((وكان عدد الرّوايات المختارة 31إحدى وثلاثين روايّة ،منها خمس عشرة روايّة مكتوبة باللغة العربيّة و16روايّة مكتوبة باللغة الفرنسيّة ،حاول من خلالها تقديم صورة الآخر وهو الفرنسيّ مثلما تمثّلته أقلام الرّوائيين المغاربة ،بكل صدق وأمانة ،وبعيدا عن التّحيّز ،والتّرفّع عن الذّاتيّة حيال هذا "الآخر"الذّي يربطه بالباث ماض دام وعصيب))[12]

المتمعّن في هذا التّطبيق يجد أنّ هذا العمل الذّي كانت له الرّيادة في ميدان علم الصورة ،اعتمد التّرجمة سبيلا للتوصّل إلى الآخر ،واختيار الأعمال المترجمة أكثر من تلك المكتوبة باللغة العربيّة كان مؤشّرا لأهميّة ذلك في ظلّ وجود الأعمال الرّوائيّة باللغة الفرنسيّة وغيرها من اللغات الأجنبيّة لدى "الأنا" العربيّ أكثر من غيرها ،وهو ما ساعد وساهم في تقصّى الدّور الفعال للترجمة في ربطها للأنا بالهناك .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أما في عمل معاصر فنجد ما قامت به "عاليّة زروقيّ " في صورة الآخر في الرّوايّة الجزائريّة من 1950 إلى 2010،قد ألمّ أكثر بالتّحوّلات التّي حدثت للآخر في الإبداع الجزائريّ الذّي كانت التّرجمة حاضرة فيه أيضا وذلك بفعل الحديث عن الرّوايّة الجزائريّة المترجمة والتّغييرات التّي حدثت فيها وانعكاس هذا على ترجمة الآخر في الصورائية، واستخلاص الصور المختلفة من خلالها ،كما أنّ ما قامت به الدّكتورة في هذا الإطار كان عبْر فضاء واسع سواء ما ارتبط بالزّمن ،أو ما ارتبط بالآخر في حدّ ذاته((والمدونة التّي تمّ اختيارها للتحليل ،تتمثّل في حواليّ أربعين روايّة جزائريّة ،بين العربيّة والفرنسيّة وتتوزّع تواريخ صدورها طيلة فترة ستين سنة من الإبداع الرّوائيّ الجزائريّ ،وكان اختيارها وفقا لتعبيرها عن الآخر ،وذكرها لصفات له ،أو لعلاقتها بالأنا ،وإبداء المواقف منه ،فمنها المشهورة لشهرة أصحابها ومنها المغمورة ،منها حديثة النّشر ومنها القديمة))[13]

فالباحثة لدى اختيارها لتلك النّماذج كانت ترى في تلك الأعمال التّي تناسب ترجمتها للآخر ،وهو ما يجعل من عمليّة التّرجمة هنا المقياس الذّي يحدّد الآخر ،خاصة في تلك المقارنة الضمنيّة بين هذه الصّور وتلك أيّ التّي لا تخضع للترجمة وجاءت باللغة الأصل.

أمّا من الأعمال المترجمة التّي صورت الآخر ولم تُقَم عليها الدّراسات نجد ترجمة "أبيّ العيد دودو" لروايّة الحمار الذّهبيّ ،هذا الباحث الذّي كانت له الرّيادة أيضا في مجال التّرجمة وعلم الصورة الأدبيّة ،فحين خرج هذا العمل إلى الوجود رأينا أنّ المترجم وضع مقدّمة في هذا الكتاب كانت بمثابة الانطلاقة التّي من خلالها وجل مجال المقارنات الأدبيّة وكشف فيها مجموعة من الصّور للآخر اليونانيّ ،تماشيا وطبيعة هذه الرّوايّة وتاريخها من خلال تصنيفها كأقدم الرّوايات ،ورغم أنّ منهج التّأثير في الأدب المقارن هو ما طغى على دارسة وترجمة "دودو" لهذه الرّوايّة إلا أنّها كانت في حدّ ذاتها كشفا لعديد الصّور التّي طالتّ الآخر ،فنجد صورة المرأة الساحرة ،المتأصّلة في الخيال . وهو طبيعة في ذلك المجتمع ـ إذ لا يخلو كتاب من كتب الرّوايّة إلا ويأتيّ الحديث فيه مصوّرا حالة من حالات السّحر التّي كانت تحدث في ثنايا المجتمع ((إنّها ساحرة ذات قوّة شيطانيّة ،تُنزل السّماء ،وتعلّق الأرض ،وتجمّد الينابيع ،وتذيب الجبال ،وتستخرج الأرواح ،وتستنزل الآلهة ،وتطفئ النّجوم ،وتزيل العالم السّفليّ بالأضواء حقّا))[14]

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هو حال "ميرو" العجوز التّي كانت تملك النّاس ،فتوفّر لهم الرّاحة والطمأنينة وتسحر عقولهم فأرواحهم بفعل الحانة التّي كانت تفتح أبوابها أمام هلاك هؤلاء،فمثّلت هذه الأخيرة صورة للرّجل المخمور الذّي يهب أيّ شيء في سبيل أن يفقد عقله، ولم يكن هذا إلا تجسيدا وإيعازا من عالم الغيب عالم الآلهة((ها قد جاء إله الخمر باخوس ،مرشد إلهة الجمال وحامل الأسلحة من غير جنود،سنشرب اليوم هذه الخمرة كلها لتزيل عنّا الحياء الفاتر وتبعث فينا الرّغبة الحيّة،فعندما تبحر إلهة الجمال لا تطلب أكثر من أن يشتعل المصباح في الليل الحيويّ وأن يكون هناك ما يكفي من الخمر))[15]

تلك الصّور وصور أخرى كثيرة وإن امتزجت بالخيال فإنّها كانت انطلاقة حيّة للصورائيّة المقارنة من خلال تبنيها للأدب العالميّ والذّي استخدمت فيه التّرجمة كجانب حيويّ في ممارسة طقوس التّصادم الحضاريّ والثّقافي بين القوميات والمجتمعات المختلفة وهو الهدف المشترك بين التّرجمة والأدب المقارن في هذا الإطار.

إنّ هذه الأمثلة الحيّة والمختلفة كانت صورة مصغّرة عن الآخر الذّي عبّر عليه الأنا من خلال أدبه، فالآخر الذّي كان طليعة الآداب العالميّة مارسنا معه شكلا من أشكال الإجحاف والتّملّص من البحث في تثاياه ورؤاه ولعلّ في هذا من الأسباب التّي تجعل الأنا الباحث يتقصّى السهل والموجود وهو ما انعكس فعلا في صورة الأنا عند الآخر مثلما سنوضّح ذلك .

3 ـ 2ـ صورة الأنا في أدب الآخر: الحديث في هذا الجانب حديث عن ممارسة المترجمين عملهم كمقارنين ومصورين لمجتمع الأنا والهنا في مختلف الأعمال المترجمة ،ذلك أنّ أيّ احتكاك بين الطرفين هنا مرّ خارج إطار العربيّة فحدثت التّرجمة وصاحبت رؤيّة المجتمع العربيّ والإسلاميّ ممثّلا للذات والهّويّة ،من ذلك ما قام به أديبنا "أبو العيد دودو"في التّرجمات التّي أخذها عن الألمان الذّين صوّروا المجتمع الجزائريّ ((مثل الرّحالة والشّاعر واللغويّ الألمانيّ هاينريش ـ ف ـ فون مالتّسان الذّي كتب عدة مؤلفات عن الجزائر مثل كتابه الشّهير "ثلاث سنوات في شمال غربيّ إفريقيا"خصّص ثلاثة أجزاء منه للحديث عن الجزائر وأهلها وطبيعتها ،ومثل العديد من القصص التّي صوّر فيها الحياة الجزائريّة تصويرا دقيقا مثل قصّة "مدخّنو الحشيش في

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الجزائر"،ومطوّلات شعريّة مثل حكايّة "قبر الرّومية"و"الجزائر"،و"البليدة"و"مازونة"و "ورحلة في الصّحراء"، وقد ترجم الدّكتور دودو كل العناوين السالفة الذّكر واستثمرها في دراسة صورة الجزائر عند الألمان))[16]

كشْف الرّؤيّة عنّا كان الهمّ الوحيد الذّي تبنّاه "دودو" فتوغّل في تلك التّرجمات محقّقا ما لم يصل إليه غيره من الجزائريين ،فأراد أن يفهم من تلك الصّور التّي أخذها الآخر الألمانيّ كيف قرأ الذّات الجزائريّة وما أحاط بها.

التّرجمة أداة مباشرة للوصول إلى الصّور الأدبيّة في هذا الجانب من تصوير الآخر للأنا ،والتّوغّل لكتاب "الجزائر في مؤلفات الرّحالين الألمان 1830.1850"يوضّح أكثر طبيعة استخدام التّرجمة ،التّي تجعل من الصّعب سهلا بعد أن يكتشف القارئ والمقارِن كيفيّة نقل الثّقافة من الهنا إلى الهناك ،فبعد أن يكتشف الآخر ما في الهنا ينقله فيصبح في مخيلة الآخر الجمعيّ بفعل ترجمة الآخر كذات ،و هو ما فعله الألمان ،وبعد أن ترجم ذلك "أبو العيد " فإنّ هذا أصبح فعلا اجتماعيا تجاوز الأنا "كذات " ،ولم يحدث كلّ هذا إلا بفعل التّرجمة التّي تجاوزت الحدود واللغات ((فالغايّة من تأليف كتب الرّحلات الألمانيّة إنّما كانت تقديم بطاقة هويّة تعرف المواطن الألمانيّ بالجزائر، وتساهم في تشكيل صورة معينة لديه فيما يتعلّق بهذا البلد))[17]

ورغم أنّ هذا التّعارف شابه من الإيجابيات والسلبيات ،من وجهة نظر استعماريّة إلا أنّ ذلك يبقى نسبيا نظرا لطبيعة الكتابات الألمانيّة ونظرتهم في هذا الإطار ،إذ كان اهتمامهم بالبحث أكثر من أيّ شيء آخر.

في ذات السّياق انتقلت رؤيّة الآخر للأنا وتصويره في أعمال معاصرة ،وهو ما نلحظه مع العديد من الأعمال من بينها "صورة الجزائر في مخيال الآخر لدى الأدباء الفرنسيين في القرن التّاسع عشر" للباحث أغامير محمد ،وقد كان اختيار الباحث للفرنسيين نظرا لوجود رابط اتّصاليّ هو الاستعمار الذّي كان من أهم ما ربط الآخر الغرب بأنا العرب في القرن العشرين خاصة ،المدوّنة التّي قام باختيارها كانت بطبيعة الحال تعتمد التّرجمة لتبَيُّن مختلف الصّور التّي انطبعت عند الأديب الفرنسيّ عن الجزائر والجزائريين والذّي كتب له أن يرتحل بين مدن الجزائر فيكتب عنها ،محاولا بذلك تصوير مارآه ،ففصّل الكاتب ماحدث لهؤلاء عبر قصصهم المختلفة ورواياتهم التّي كتبوها ،أمّا "ألفونس دوديه" فيذكر أنّه زار مليانة وتحدّث عنها في قصصه المختلفة ((ألفونس دوديه كاتب وروائيّ ومسرحيّ ساخر ،زار الجزائر في أواخر سنة 1861..فقضى بها ثلاثة أشهر زار فيها منطقة الجزائر

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والبليدة وأقام مدّة في مليانة وزار المناطق المجاورة لها وكتب من وحيها عدة أقاصيص ومذكرات سفر ،نشرت في الصّحافة ثمّ ظهر بعضها في مجموعة رسائل طاحونتيّ ..وكتب قصصا أخرى تجريّ أحداثها في الجزائر ومنها في مليانة ويليها الجراد وأخيرا لا آخِرا الموسوم 15أوت والتّي صدرت في التّرجمة العربيّة التّي قام بها د.أحمد منوّر تحت عنوان وسام الآغا))[18]

إنّ تكوين مجموعة من الرّؤى حول "الأنا" المكان هو صور ترجمت تأثّر "الآخر" وارتباطه بالهنا الذّي أدى إلى زيادة التّعلق والإعجاب فيما بعد ،وهو ما تبرّره التّواصلات التّي صاحبت "دوديه"أو أتت بعده ،فيشرح الباحث "أغامير محمد" ما قام به "غيّ دو مبسان"في تلك الرّحلات التّي قادته إلى الجزائر لمجموعة من الأسباب ،والتّي أدت بدورها إلى بسط رؤيته المتعلّقة بالعالم الإسلاميّ في الجزائر والذّي جاء في النّهايّة بمجموعة من الكتب((فوجهة غيّ دو موبسان كانت البحث عن دفء الشمس ولكن أيضا كما يصرّح هو نفسه في كتابه AU Soleil بحثا عن الرّوح العربيّة من خلال هوايته لعلم النّفس والتّصوّف الإسلاميّ .خلال هذه الرّحلة كان مهتمّا بالتّصوّف الإسلاميّ ويبحث عن دفء الصّحراء وعن فيافيها الشاسعة تحت وطأة النّفس))[19]

فالهروب من واقع إلى آخر كان عند هؤلاء ،هو ما مكّن الباحثين من عقد المقارنات المختلفة والحكم على كيف كانت نظرة الآخر للأنا ،وهيّ وإن كانت ترجمة أدبيّة إلا أنّها كانت ترجمة للثّقافة أيضا ،فالآخر الذّي لا يعرف الاستسلام كان يبحث عن بعض من النّجاة في الهنا وهو ما قد يتمكّن له بعد أن يكتب بلغته عن ذلك.

وفي الحديث عن "لويس برتراند" في نهابة هذه المدوّنة ،فإنّ هذا الكاتب كان مختلفا عن سابقيه فقد أخذت منه الجزائر وقتا طويلا بين دراسته وعمله بها وهو ما جعله الأكثر ارتباطا بها رغم نظرته المختلفة ((يظهر أنّ لويس برتراند عاش اكتشاف الجزائر كعمل مملوء بالعاطفة ـ أرض الأحلام وأرض الفرص ـ يأتيها الأوروبيّ خاليّ الوفاض فارغ اليدين والجيوب وبقدرة قادر يصبح معمّرا يملك ضيعة أو ضيعا ،يشغلّ الأهاليّ بطريقة استعباديّة بأسعار جدّ زهيدة))[20]

وفي هذا الإطار استخدمت التّرجمة في الأدب المقارن من خلال هذه الأعمال التّي مالتّ إلى مجال التّقاط الصّور الأدبيّة من الاتّصال الحاصل بين الأنا والآخر في أطر مختلفة أهمها الاستعمار .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

خاتمة: عندما ولج العالم ميدان المقارنات الأدبيّة في إطار العلوم الإنسانيّة وغيرها وجد التّرجمة التّوأم الذّي رافق تلك المقارنات خلال ولوج القوميات المختلفة ،فعمد إلى تعلّم تفاصيلها قصد ممارستها خارج إطارها كالاكتفاء بمجرد تبديل النّص إلى غير لغته ،إنّما أكثر من ذلك في مرافقتها للأدب المقارن.

لم تخرج التّرجمة عن أيّ ميدان من ميادين ومناهج الأدب المقارن ،وبعد أن استخدِمت كأساس لا مجال للتفريط فيه في الصورائيّة المقارنة ،فقد كانت بين مسارين :

أولا:ترجمة مختلف ما وجد في الهناك واستخدامه لدى الأنا ،قد ظهر هذا في بحوثنا قليلا نظرا للتضييق الذّي مورس حول التّرجمة والتّهميش الذّي رافقها.

ثانيا:البحث فيما حدث في الهنا ورؤيّة الآخر حول ذلك ومختلف ما اكتشفه من صور ،وقد كانت الأعمال في هذا الإطار كثيرة نظرا للاهتمام المتواصل بالاكتشاف من طرف الآخر "الغرب " .

وفي نهايّة بحثنا هذا نجد أنّ التّرجمة كانت المتمّم الحيّ لمجال علم الصورة الأدبيّة الذّي مازال للآن يربط بين الأمم والثّقافات ،وما علينا سوى تكثيف البحوث حول ذلك وممارسة التّرجمة ليس في إطارها وفقط ،إنّما بالعلاقة التّي تربطها بالعلوم الإنسانيّة المختلفة .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الهوامش:

[1] - عصام بهيّ ،طلائع المقارنة في الأدب العربيّ الحديث ،دار النّشر للجامعات ،ط1، القاهرة ،1996 ،ص 81

[2] . محمد غنيميّ هلال ،في النّقد التّطبيقيّ والمقارن،نهضة مصر للطباعة والنّشر والتّوزيع ،القاهرة ،ص15.16

[3] . محمد غنيميّ هلال ،دراسات أدبيّة مقارنة ،دار نهضة مصر للطبع والنّشر ،القاهرة . مصر ،1985،ص 37

[4] . أحمد صالح الطّاميّ ،من التّرجمة إلى التّأثير "دراسات في الأدب المقارن"،منشورات الاختلاف /منشورات ضفاف ،ط1، الجزائر، 2013، ص 97.98

[5] . حمزة وشان، صورة الجزائر في أدب ألبيركامو وجون بول سارتر، جامعة شلف ،2014. 2015، ص 21

[6] . أغامير محمد، صورة الجزائر في مخيال الآخر، كليّة الآداب واللّغات والفنون، جامعة وهران ،2014/2013، ص 54

[7] . المرجع نفسه، ص41

[8] . رفاعة رافع الطهطاويّ، تخليص الإبريز في تلخيص باريز ،مؤسسة هنداويّ للتعليم والثّقافة، مصر . القاهرة،2012، ص82

[9] . جيته، الدّيوان الشّرقيّ للمؤلف الغربيّ، ترجمة عبد الرّحمان بدويّ، المؤسسة العربيّة للنشر والتّوزيع، الإسكندرية،ص8

[10] . عمار رجال /عائشة حمزة، الأندلس في شرقيات فيكتور هوجو ،مجلّة مقاربات، الجلفة، العدد3، المجلد 5 ،2019، ص60

[11] . صغور أحلام ،واقع الدّراسات المقارنة في المغرب العربيّ ،كليّة الآداب واللغات والفنون،جامعة وهران،2008.2009،ص 216.217

[12] المرجع نفسه،ص218.219

[13] . عاليّة زروقيّ ،صورة الآخر في الرّوايّة الجزائريّة من سنة 1950إلى سنة 2010،كليّة الآداب والفنون ،جامعة شلف ،2017،ص10

[14] . لوكيوس أبوليوس ،الحمار الذّهبيّ ،ت أبو العيد دودو ،منشورات الاختلاف ،ط3،بيروت ،2004،ص51

[15] . المصدر نفسه ،ص 65

[16] . عبد المجيد حنون،أبو العيد دودو والأدب المقارن في الجزائر ،مجلّة اللغة العربيّة ،عدد خاص، الجزائر،2004، ص168

[17] . حمزة وشان ،صورة الجزائر في أدب ألبير كامو وجون بول سارتر ،كليّة الآداب واللغات،جامعة شلف،2014.2015،ص52

[18] . أغامير محمد،صورة الجزائر في مخيال الآخر لدى الأدباء الفرنسيين في القرن التّاسع عشر ،كليّة الآداب واللغات والفنون،جامعة وهران،،2013.2014،ص104

[19] . المرجع نفسه،ص139

[20] . المرجع نفسه،ص195

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com